

يؤتى الحكمة من بناء ومن يؤتى  
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما  
يذكر إلا أولو الألباب

# الملك

١٣١٥

فبشر عباده الذين يستمعون القول  
فيتوبون أحسنه أولئك الذين هداهم  
الله وأولئك هم أولو الألباب

( قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )

( مقرر في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ - ٤ ستمبر ( ايلول ) سنة ١٩٠٢ )

الاضطهاد في النصرانية والإسلام

( المقالة الثانية لذلك الأستاذ الحكيم والفيلسوف العليم )

ذكرت الجامعة في الجزء الثامن من السنة الثالثة في سياق الكلام على ما جرى لابن رشد ان للناس آراء في: هل الدين المسيحي أوسع صدراً في احتماله مجاورة العلم والفلسفة او ان الدين الاسلامي هو الارحم خلقاً والاوسع حلماً من الدين المسيحي في قبول أهل النظر في التكون اذا نزلوا بداره ، ولا ذوا بجواره ، وذكر أن للقائلين بتسامح الدين المسيحي مع العلم وأهله دون الدين الاسلامي أن فولثير وديدرو وروسوورنان قالوا فيما يضاد الدين ما قالوا ولم يصابوا بضرر وابن رشد لم يقل شيئاً سوى أنه قرّر ما قال أرسطو ووضحه مع تصريحه بسلامة اعتقاده ومع ذلك اهين وبصق على وجهه . وللقائلين بسعة حلم الاسلام ان الاسلام لم يحكم بأحراق احد لجرّد الزيف في عقيدته وكم حكمت المسيحية بذلك

ثم جعلت أهل الرأي الأول آخر من يتكلم وقالت: « فيرث عليهم  
الأولون بقولهم: هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط أم مع  
القريب والغريب معاً: ثم الا تذكرن الحروب والفتن التي قامت بين  
شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فأضمت امتهم،  
وفرت كلمتهم، قبل يجوز ان تسوا محاربة شخص واحد وإيداه ( محاربة  
للإنسانية ) ولا تسوا كذلك محاربة شعب اشعب وأمة لأمة » اهـ

ثم قالت الجامعة إنها لا تفصل بين القوانين، ولكنها فصلت فيهما فصلين،  
الأول في قولها: « إنا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة  
الدينية بحكم الشرع لأن الحاكم العام هو حاكم وخليفة مما وبناء على ذلك فان  
التسامح يكون في هذه الطريقة أصعب منه في الطريقة المسيحية فان الديانة  
المسيحية قد فصلت بين السلطين فصلاً بديعاً بدلالة المسيل المختارة الحقيقية  
وتمدن الحقيقي وذلك بكلمة واحدة: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وبناء على  
ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا بركت للسلطة الدينية مجالاً  
للضغط على حرية الأفراد من أجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلاً عن قيام  
وسق الأرض بدمائهم البريئة فانها تجني جناية هائلة على الإنسانية وعلى ذلك  
لا يكون في هذه الطريقة من التسامح أكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص  
ولو كان هذا النقص أخذ من نقص شقيقتها الا انه لا نقص أعظم من نقص  
التسامح على التمام » والتفصل الثاني في قولها: « ان العلم والفلسفة قد تمكنا  
الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نفاخر سبها في تربة اوربا  
وأينع وأثمر التمدن الحديث ولكنها لم يتمكنا من التغلب على الاضطهاد  
الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً » اهـ

### الجواب الاجمالي

وإني أعجل في الجواب بما يلاقي هذين الحكمين اجمالا . أما الأول  
فإن كان الإنجيل فصل بين السلطتين بكلمة واحدة فالقرآن قد أطلق القيد  
من كل رأي بكلمتين كبيرتين لا كلمة واحدة . قال في سورة البقرة  
« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت  
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »  
وقال في سورة الكهف « وتال الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء  
فليكفر »

وأما الثاني فأسأل الجامعة في جوابه : أين الاضطهاد الواقع على العلماء  
اليوم عند المسلمين ؟ وأين أولئك العلماء المضطهدون ؟ وأريد بالعلماء أولئك  
الذين يساؤون من ذكرتهم من فواتير وديدر وروسو و أمثالهم . وكيف  
ساع لها ان تقول ما تقول وهي في ارض مصر ومصر بلاد اسلامية  
وحلها كما ترى ؟ فاذا أرادت شاهدة على حال المسيحية والعلم فلتمر بنظرها  
اليوم على أسبانيا وانتقف برهة من الزمان ثم لتحكم . يمكنها ان تعد من  
طلبة الملوم المسلمين مئين في مدارس المسيحيين من جزويت وقرير  
وأميركان وهي مدارس دينية خصوصا مدارس الجزويت . فهل يمكنني ان  
أجد طالبا واحدا مسيحيا في مدرسة دينية اسلامية يباح الدخول فيها لكل  
طالب علم من أي ملة ؟ لا نجد الا قليلا منهم في مدارس الحكومة لعلمهم  
انها مدارس رسمية لم يتم بناء تعليمها على الدين . فهل سمع ان والدا اضطهد  
لانه بعث بولده الى مدرسة مسيحية يديرها قسوس مسيحيون ؟ الا بعد  
هذا من تسامح الاسلام مع العلم اليوم ؟

لولا ان موضوع كلامي محدود باعتبار التسامح بالنسبة الى العلم والفلسفة  
وحدها لذكرت لصاحب الجامعة أن يوجد في بلاده طائفتان تمد آحادها  
بالألوف وتزعم كل منهما ان لها نسبة الى الاسلام وهي تعتقد بما لا ينطبق  
على أصل من أصوله حتى أصل التوحيد والتنزيه عن الحلول ولا تقول  
بفرض من فروضه المعلومة منه بالضرورة . وأجمع فقهاء الأمة على انها  
من قبيل المرتدين والزنادقة لا تؤكل ذبائح افرادها ولا يباح لهم أن  
يتزوجوا من المسلمات وإنما اختلفوا في قبول توبة من تاب منهم ومن  
العلماء من قال لا تقبل توبته . وهم مع ذلك عاشون بجوار المسلمين ومضى  
عليهم ما يزيد على تسعمائة سنة وقد كانوا تحت سلطان المسلمين والاسلام  
في أوج القوة . دخلوا في حكم الأتراك وهم أيام كان ملك فرنسا يستنجد  
بملكهم وكانت عساكرهم على أسوار فينا . كان أولئك الذين يراهم المسلمون  
قد خرجوا من دينهم وأسرؤا عقيدة تناقض عقيدتهم قد ظهروا بأعمال تضاد  
أعمالهم وهم جيرانهم ومحت أيديهم وفي مكنيتهم محوهم ومع ذلك عاشوا الى  
اليوم ولهم أحبة وأصدقاء بين المسلمين . وللمسلمين بينهم مصافون وأوداء  
فهل عهد مثل ذلك عن المسيحيين ؟

غير ان موضوع قولي محدود كما قلت فلا أخرج عنه وأراني نظمت  
فيه بكلامي الجملة . واكن لا يكفي لبيان ما عرضت به الجامعة في قولها  
« هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط او مع القريب والغريب  
الحق » ولا لتحقيق الحق فيما حكمت به في حكمها الا تفصيلا تعرض فيه  
حالة الدينين مع العلم تحت نظر القارئ على وجه يمكن معه الحكم عن  
فهم ، ولا تلبس فيه الحقيقة بالوهم

الجواب التفصيلي -

أرى الجامعة جاءت في كلامها باربعة أمور آتى بها على حسب ترتيب النسق في تميرها . ( الأول ) ان المسلمين قد تسامحوا لأهل النظر منهم ولم يتسامحوا مثلهم من أرباب الأديان الأخر ( الثاني ) ان من الطوائف الاسلامية طوائف قد اقتلت بسبب الاعتقادات الدينية ( الثالث ) ان طبيعة الدين الاسلامي تأبى التسامح مع العالم وطبيعة الدين المسيحي تيسر لاهله التسامح مع العلم ( الرابع ) ان إيناع ثمر المدنية الحديثة إنما تتمتع به الأوربيون بركة التسامح الديني المسيحي . فلا بد لي من الكلام على كل واحد من هذه الأمور الاربعة وابتدى منها بالثاني لقلة الكلام عليه

في القتال بين المسلمين لأجل الاعتقاد

لم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفين ( الآخذين بعقيدة السلف ) والأشاعرة مع الاختلاف العظيم بينهما ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال وعقائد أهل السنة سلفيين وأشاعرة - كما لم يسمع بان الفلاسفة الاسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها . نعم سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج كما وقع من القرامطة وغيرهم وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد وإنما اشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة . ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة . وما كان من حرب بين الأمويين والهاشميين فهو حرب على الخلافة وهي بالسياسة أشبه بل هي أصل السياسة نعم وقعت حروب في الازمنة الأخيرة تشبه أن تكون لأجل العقيدة

وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية وبين الحكومة العثمانية والوهابيين ولكن يتسنى لباحث بأدني نظر ان يعرف انها كانت حروبا سياسية ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم مع بقاء الاختلاف في العقيدة وبين الحكومة العثمانية وابن الرشيد أمير الوهابيين اما الحروب الداخلية التي حدثت بعد استقرار الخلافة في بني العباس وأضعفت الأمة وفردت الحكمة فهي حروب منشأها طمع الحكام وفساد أهوائهم وجبهم الاستئثار بالسلطان دون سواهم . ومصدر ذلك كله جهلهم بدينهم وارتخاء حبل التمسك به في أيديهم . واكبر داء دخل على المسلمين في همهم وعقولهم انما دخل عليهم بسبب استيلاء الجبهة على حكومتهم . أقول « الجبهة » وأريد أهل الخشونة والفظرة الذين لم يهذبهم الإسلام ولم يكن لمقائده تمكن من قلوبهم . ولو رزق الله المسلمين حاكما يعرف دينه ويأخذهم بأحكامه لرأيهم قد نهضوا والقرآن الكريم في إحدى اليدين وما قرر الاولون وما اكتشف الآخرون في اليد الاخرى ذلك لا خرتهم وهذا الدنيا هم وساروا يزاخمون الاوربيين فيزخمونهم

مالنا وللحكام نمرض لهم ؟ الذي علي ان أقول ولا أخشى منازعا : انه لم تقع حرب معروفة بين المسلمين للحمل على عقيدة من العقائد أو على تركها . على ان هذا الأمر الذي جاءت به الجامعة والجاننا الى الكلام فيه خارج عن الموضوع بالمرّة لأن الكلام في التسامح الديني مع العلم لا في تسامح عقيدة مع عقيدة أو دين مع دين وإلا لأوردنا لها من حروب الطوائف المسيحية بعضها مع بعض وحروبها مع غيرها ما يستغرق أجزاء الجامعة بقية هذه السنة اذا أوجزنا ما استطعنا . هل أذكرها بما كان يقع

في الفيلسوفية من سنك الدماء بين الارثوذكس والكاثوليك على عهد  
القيصرية الرومانيين ؛ هل أذكرها بحادثة برتلمي سنهالير التي سفك  
فيها الكاثوليك دماء إخوتهم البروتستانت وأخذوهم في بيوتهم على غمرة  
وقتلوهم نساء ورجالاً وأطفالاً ، بماذا أذكر الجامعة من أمثال هذه الوقائع  
التي أسود لها لباس الانسانية ، وتسأبت لحدوثها البشرية ؛ هل يمكن  
لأنه أن يروني حادثة مثابا وقعت بين شعوب المسلمين بعضهم مع بعض  
تختلف في العقيدة مها عظم الاختلاف

أهل المسلمين مع أهل العلم والنصر من كل ملة

ثم أرجع الى الأمر الأول من الأمور الأربعة لأن الكلام عليه  
أول منه على الأمر الثالث ، وأنني لا أستدل على رعاية الإسلام للحكام من  
المال غير المسادة بقول كاتب مسلم وإنما أرجع في جميع ما أذكر الى كتب  
المؤرخين والفلاسفة من المسيحيين وأذكر أسماء جماعة من المسيحيين وغيرهم  
بأنفوا من الخلفاء عند الخلفاء وعناية المسلمين وخاصتهم بالم يأنه غيرهم  
قال المسير درابر أحد المؤرخين وكبار الفلاسفة من الاميركان :  
« ان المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في ماملة أهل العلم من  
النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضوا  
اليهم كثيراً من الاعمال الجسام ، وورقوهم الى المناصب في الدولة حتى ان  
هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسنيه » ( هو يوحنا  
ابن اسويه الشير ) وقال في موضع آخر : « كانت ادارة المدارس مفوضة  
مع نبل الرأي وسمة الفكر من الخلفاء الى النسطوريين تارة والى اليهود  
تارة أخرى . لم يكن ينظر الى البلد الذي عاش فيه العالم ولا الى الدين

الذي ولد فيه بل لم يكن ينظر الا الى مكانته من العلم والمعرفة. قال الخليفة العباسي الاكبر المأمون: « ان الحكماء هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لأنهم صرفوا عقولهم الى تيل فضائل النفس الناضجة وارتفعوا بقواهم عن دنس الطبيعة هم ضياء العالم وهم روض قوائمه ولولاهم لسقط العالم في الجهل والبربرية ». وقال في موضع آخر: « ان العرب قد زحفوا بجيش من أطبايهم اليهود ومؤدبي أولادهم من النسطوريين ففتحوا من مملكة العالم والفلسفة ما اتوا على حدوده بأسرع مما اتوا على حدود مملكة الرومانيين ». ولست في حاجة الى ذكر ما أسس الخلفاء والملوك من المدارس وأقاموا من المراصد وما حشدوا من الكتب الى المكاتب لأن هذا خارج عن بحثنا الآن وسيرد عليك شيء منه فيما بعد.

- في طائفة من الحكماء والعلماء الذين حظوا عند الخلفاء بتميز.

أذكر ممن اشتهر من الحكماء بالخطوة عند الخلفاء جيورجيس ابن ميخائيلوس الجنديسا بوري طبيب المنصور كان فيسوقا كبيرا أعنت منزلته في عهد المنصور لأنه كانت له زوجة عجوز لا تشبهه في شيء عليه المنصور أنفق عليه ثلاث جوارحان فردهن وقال: إن ديني لا يسمح لي أن أتزوج غير زوجتي ما قدمت حية. فأبى ملكته حتى عصى وزوجته ووجدت المرض أصاب المنصور بحمله في دار الماء فخرجت به ماشيا يسأل من حده فاستدعى الحكيم في راحته الى بده يمدقن مع يده فمرض عليه ثم مات المنصور في ليلة فنان. رضيت ان تكون زوجتي في الجنة ولكن لا يرضيك المنصور وأمر بحرقه ووضع جسده في النار فحرقه حتى لم يبق له عظم ولا عود بالامساك وكثرة اليد او موسى من معه حملت في بيت الطارقي ابن

مدافن آباؤه كما طالب . ثم سأله عن يخلفه عنده فأشار الى عيسى بن شهبان أحد تلامذته فأخذه المنصور . كان جيورجيس فطوق يؤذي القسوس والبطارقة ويهددهم بمكانه عند الخليفة لينال منهم رغبته فشر الخليفة بذلك فطرده وممن حظي عند المنصور نوبخت النجم وولده أبو سهل وكانا فارسين على مذهب الفرس ثم كانت فرية مسامة لأبي سهل وكانوا جميعاً نجسين لهم شهرة في علوم الكواكب فافقه

وممن حظي بالمسكنة العليا عند الخليفة المهدي يوفيل بن توما النصراني النجم وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان . وله كتب في التاريخ جلييلة ونقل كتاب أميروس الى السريانية بأفصح عبارة . وممن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة بختيشوع الطيب وجبريل ولده ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني . ولده الرشيد ترجمة الكتب القديمة طيبة وغيرها وخدم الرشيد . ومن بعده الى المتوكل . وكان يعقد في داره مجلساً للدرس والمناظرة ولم يكن يجتمع في بيت للمذاكرة في العلوم من كل نوع والآداب من كل فن مثل ما يجتمع في بيت يوحنا بن ماسويه . وممن علا قدره في زمن المأمون يوحنا البطريق . وولى المأمون أقامه كذلك أميناً على ترجمة الكتب من كل علم من علوم الطب والفلسفة . وكذلك ارتفع شأن سهل بن سابور وسابور ابنه وكانا نصرانيين . وولى سابور بن سهل بيارستان جندي سابور

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيباً عند المعتصم ولما مات جزع عليه جزعا شديداً وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة النصارى وكان بختيشوع بن جبريل عند المتوكل يوماً فأجلسه بجانبه وكان

عليه دراعة حرير رومية بها فتق فأخذ المتوكل يحادثه ويمبث بالفتق حتى وصل الى النيفق ( هو ما اتسع من الثوب ) ودار الكلام بينهما حتى سأله المتوكل : بماذا تعلمون أن الموسوس ( المصاب بنجل في عقله ) يحتاج الى الشدة؟ فقال مجتثشوع: اذا عبت بفتق دراعة طيبه حتى بلغ النيفق شددناه . فضحك المتوكل حتى استلقى

وفي أيام المتوكل اشهر حنين بن اسحق النصراني المبادي وهو من أشهر المترجمين لكتب ارسطو وغيره وامتنحن المتوكل صدقه فظهرت له عزيمته لا تفل فأفطمه اقطاعات واسعة . وكان قد عرف بفصاحة العبارة وحسن الترجمة في زمن المأمون وهو في فكلفه بترجمة الكتب وكان يعطيه وزن ما يترجم ذهباً . وكانت بينه وبين الطيفوري النصراني محاسنة أفضت الى طلب الحكم على حنين في مجلس الاساقفة بالحرم من الكنيسة فمات نهماً لا يضطهاد أهل طائفته له مع عزيمته وعلو قدره عند الخليفة وهذا الطيفوري أيضاً كان من المقربين عند الخلفاء

ومن ارتفع شأنه عند الخلفاء والخاصة والمامة في زمنه أيام خلافة الرازي متى بن يونس المنطقي النصراني النسطوري كان متفناً في جميع العلوم العقلية أخذ عنه أبو نصر الناراني ونهت اليه الرياسة في بغداد وكان من أهل دير قتي ونشأ في مدرسة مارماري وقرأ على روفائيل وبنيامين الراهبين اليمقويين .

ومن المقربين عند الخلفاء قسطا البصابكي من فلاسفة دراه الاسلام وهو نصراني طلبه الخلفاء الى بغداد لأجل الترجمة ثم نجح بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي انتهت اليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته

وقرأ على متى بن يونس وعلى أبي نصر الفارابي  
ومنههم أبو الفرج بن الطيب فيلسوف عالم . قالوا كان كاتب الجاثليق  
ومتميزا في النصارى ببغداد وكان يقرى صناعة الطب في البيمارستان العضدي  
وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا والرئيس يمدح طبه ولا يحمد فلسفته  
وله كلام فيه

ومن كانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والخاصة والعامة ثابت بن  
قرة الحراني الصابي من طائفة الصابئين المعروفة وتربى في بيت محمد بن  
موسى بن شاكر الفيلسوف المشهور وبلغ في علوم الفلسفة مبلغاً لم يداه فيه  
غيره وله تأليف كثيرة في المنطق والطب والرياضيات وبلغ عند المعتضد  
مقاماً تقدم فيه عنده على وزرائه . وولد ثابت هذا سنة احدى عشرة  
ومئتين بجران . ثم كان ابناه ابراهيم وسنان على قدم أبيهما . ومن خلفته  
أبو الحسن ثابت بن قرة . وكان ثابت وابراهيم وسنان صابئين ولهم من  
المنزلة ما علمت ومدحهم كثير من شعراء المسلمين وهم صابئة

ماذا أعدد للجامعة من الفلاسفة والحكماء من الملل المختلفة الذين  
وسمهم صدر الاسلام . ولم يرض عليهم بالرعاية والاحترام . هل تريد أن  
أتم لها الكلام بذكر كثير من فلاسفة الاسلام المسلمين الذين نالوا السمت  
الدرجات وأعلى المقامات عند الخلفاء والملوك . هل أنا في حاجة الى ذكر  
فيلسوف الاسلام أبي يوسف يعقوب الكندي وهو بصري الاصل .  
ابن الامير اسحق الذي كان أميراً للمهدي والرشيد على الكوفة وهو من  
ذرية الاشعث بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان  
عالماً بالطب والفلسفة والهيئة والحساب والموسيقى واشتغل بالترجمة كما اشتغل

غيره بها فترجم كثيراً من كتب الفلسفة وأوضح الغامض منها وكانت له  
المكانة العليا عند المأمون والمنتصم وولده احمد . هل أنا في حاجة الى ذكر  
نبي موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن الذين اشتغلوا في مساحة الكرة  
الأرضية ومعرفة محيطها وقطرها وما كان لهم من المنزلة عند الامراء  
والخلفاء؟ أذكر ابن سينا ومنزلته في قومه ووصوله الى مسند الوزارة  
عند شمس الدولة؟ أم أذكر الفارابي وما كان له من المكانة عند سيف  
الدولة بن حمدان .

لا ريب ان أبا العلاء الميري يصلح ان يكون رجلاً ممن تعنى الجامعة  
بنشر تراجمهم وقد قال ما لم يقل بمثله فولتير وروسو وقد مات مع ذلك على  
فراشه وقبره اليوم مزار يرحل اليه في بلده .

أظن انه سهل بعد سرد ما عددناه ان يعرف قراء الجامعة ان الاسلام  
كان يوسع صدره للغريب كما يوسع القريب بميزان واحد وهو ميزان  
احترام العلماء للعلم . ويسهل علي ان التمس المنذر للجامعة بأنها عندما كتبت  
ما كتبت تمثلت لها بعض حوادث قيل انها حدثت للدين وما حدثت له .  
بل كان سبب حدوثها اما سياسة خرقاء . أو جهالة عمياء . أو تأريث بعض  
السنهاء . لا أطيل خوف الاملال . وانتقل الآن الى الامر الثالث وهو  
المقابلة بين طبيعة الدين وهو أهم مما سبق ومما سيلحق

طبيعة الدين المسيحي وأصوله

(تمهيد) ظنت الجامعة ان الدين المسيحي فصل بين السادة الدينية  
والسلطة المدنية ولذلك كان في طبيعته التسامح . أما الدين الاسلامي فمن  
أصوله ان السلطان ملك وخليفة ديني وذلك مما يصعب معه التسامح في رأيها

ليس هذا بكاف في بيان طبيعة كل من الدينين واستعدادها للتسامح مع العلم أو مع أية عقيدة تخالفها بل لا بد من بيان أركان الدين وأهم أصوله التي ترجع إليها جميع الفروع ومنها تصدر الآثار الحقيقية عند النظر في أي دين للحكم له أو عليه في قضية من القضايا يجب أن يؤخذ مخصصاً مما عرض عليه من بعض عادات أهله أو محدثاتهم التي ربما تكون جاءتهم من دين آخر . فإذا أريد أن يحتج بقول أو عمل لا يتبع ذلك الدين في بيان بعض أصوله فليؤخذ في ذلك بقول أو عمل أقرب الناس إلى منشأ الدين ومن تلقوه على سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه . وانني أوجز القول في إيراد الأصول الأولى التي وردت في الأناجيل المروفة الآن في أيدي المسيحيين . وجاءت في كلام أئمتهم الأولين . ثم إيراد ما جبر إليه الأخذ بتلك الأصول بحكم طبيعة الدين

- ❦ -  
الاصول الاولى للنصرانية الخوارق ❦-

أول أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عمادله هو خوارق العادات . تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلاً على صدقه إلا ما كان يصنع من الخوارق وعددها في الأناجيل يطول شرحه . ثم انه جمل ذلك دليلاً على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لأصحابه ذلك كما تراه في الإصحاح العاشر من انجيل متى وغيره . وإذا تبعت جميع مآثر الأهلون من أهل هذا الدين تجد خوارق العادات ، من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات . ولا يخفى أن خارق المادة هو الأمر الذي يصدر مخالفاً لشرائع الكون ونواميسه . فإذا ساغ أن يكون ذلك لكل من علا كعبه في الدين لم يبق عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص

زاد الإنجيل على هذا ان الإيمان ولو كان مثل حبة خردل كاف في خرق نواميس الكون كما قال في الاصحاح السابع عشر من متي : « فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » وفي الحادي عشر من مرقس « ٢٣ لأنني الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان مايقوله يكون فمماقال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كل ماطلبونه حينما تدعون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم »

فكل بحث يؤدي الى أن للكون شرائع ثابتة وان للعالم والشرائع أو الاسباب أو الموانع أحكاما في معلولاتها أو ماشرطت فيه أو ما تسبب عنها أو ما استحال وجوده لوجودها كان مضافا لهذا الاصل في أي زمن وقد كان كل علم من علوم الاكوان لا بد فيه من هذا البحث فكل علم مضاف لهذا الاصل . ثم ان صاحب الاعتقاد بهذا الاصل لا يحتاج الى البحث في الاسباب والمسببات لأن اعتقاده في الشيء ان يكون وارادته لأن يكون كافيان في حصوله فهو في غنى عن العلم والعلم عدو لما يعتد فما أصعب احتماله اذا جاء بزاجه في سلطانه

عن الأصل الثاني للنصرانية سلطة الرؤساء

وبعد هذا الأصل أصل آخر وهو السلطة الدينية التي منحت للرؤساء على الرؤسيتين في عقائدهم وما تسكنه ضميرهم . وقد أحكم هذه السلطة ماورد في ١٦-١٩ من انجيل متي : « أعطيتك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله على

الأرض يكون محلولاً في السموات» وفي ١٨ - ١٨ منه «الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء»

فإذا قال الرئيس الكهنوتي اشخص انه ليس مسيحي صار كذلك وإذا قال انه مسيحي فاز بها فليس المعتد حراً في اعتقاده يتصرف في معارفه كما يرشده عقله بل عيناً قلبه مشدودتان بشفتي رئيسه فإذا اهتزت نفسه الى بحث أوقفها قابض على تلك السلطة . وهذا الأصل ان نازع فيه بعض النصارى اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قرناً طوالاً

﴿ الأصل الثالث للنصرانية ترك الدنيا ﴾

توبعد هذين الاصلين أصل ثالث وهو التجرد من الدنيا والانقطاع الى الآخرة . تجدد هذا الأصل في الانجيل وفي أعمال الرسل وكلمات في الكتب الأولى عشرت به . وتجدد الأمر الصادر بالانقطاع الى ملكوت السموات من عالم الملك صريحة في الاصحاح السادس والعاشر والتاسع عشر من انجيل متى . فما جاء في السادس : « لا تقدر ان تأخذوا الله والمال » ٢٥ لذلك أقول لكم لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون ألبست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس ( الى أن قال ) ٢٣ ولكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم ٢٤ فلا تهتموا للفردان الغديتهم بما لنفسه يكفي اليوم شره » وقال في التاسع عشر : « ٢٣ الحق أقول لكم انه يسر ان يدخل غني ملكوت السموات ٢٤ وأقول لكم أيضاً ان ضرور حمل من ثقب إبرة يسر من أن يدخل غني الى ملكوت الله » وفي العاشر : « لا تقننوا

ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ١٠ ولا مزوداً للطريق ولا توبين  
ولا أحذية ولا عصا الخ »

وحدث على الرهبانية وترك الزواج وفي ذلك قطع النسل البشري قال  
في (١٩ من متى :) « ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت  
السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » . ثم ان ملكوت السموات  
قد نيط أمره بالإيمان المجرد عن النظر في الاكوان فإذا يكون حظ  
صاحب الاعتقاد بهذا الأصل من النظر في أي علم والعلم لا يدخل له في شؤون  
الآخرة والدنيا قد حرمت عليه . لا ريب ان همه يكون في الصلاة وصرف  
القلب بكليته الى العبادة دون سواها وليس الفكر في الحليقة من العبادة  
عنده فان عبادة الانجيل ليست شيئاً سوى الإيمان والصلاة

الأصل الرابع للنصرانية الإيمان بغير المعقول

وبعد هذه الأصول أصل رابع وهو عند عامة المسيحيين أصل  
الأصول لا يختلف فيه كاثوليك ولا ارتوذكس ولا بروتستانت وهو ان  
الإيمان منحة لا يدخل للعقل فيها وان من الدين ما هو فوق العقل بمعنى  
ما يناقض أحكام العقل وهو مع ذلك مما يجب الإيمان به . قال القديس  
السيمون : « يجب ان نعتقد أولاً بما يمرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد  
بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » فليس الإيمان وهو الوسيلة الفردة الى النجاة  
في حاجة الى نظر العقل والكون وما فيه لا يهم المؤمن ان يجيل فيه نظرة .  
ويقول القديس « ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » نوع من التفضل  
على النزعة البشرية الى الفهم وعلى الميل الفطري الى تصور ما يتعلق به الاعتقاد  
والا فجرد الإيمان كاف في الخلاص . ثم الويل كل الويل لطالب الفهم اذا

أدى اجتهاده في شيء يخالف ما يتعلق به إيمانه فكان معنى الفهم ان يحتاج  
 المؤمن لنفسه ما يسلي به نفسه على إيمانه بغير المفهوم  
 (الأصل الخامس لتفسيرانية الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج اليه البشر في العاش والمعاد)  
 ثم ينضم الى الأصول الأربعة خامس وهو ان الكتب المعروفة بالمهد  
 القديم والمهد الجديد تحتوي على كل ما يحتاج البشر الى علمه سواء كان متعلقاً  
 بالاعتقادات الدينية والآداب النفسية والاعمال البدنية مما يؤدي الى نيل  
 السعادة في الملائكوت الأعلى أو كان من المعارف البشرية التي يتأتى للمعتدل  
 الانساني ان يتمتع بها . قال تيرتوليان ( وهو أفضل من وصف الاعتقاد  
 المسيحي في نهاية القرن الثالث قبل ان تمرض عليه البدع الكثيرة ) : « ان  
 عقائد المسيحية أسست على الكتب السماوية ودليل صحة هذه الكتب  
 قدمها وكونها أقدم من كتاب أميروس وأقدم من أقدم أثر معروف عند  
 الرومانيين وأقدم من تأسيس الحكومة الرومانية نفسها والزمن ناصر  
 الحقيقة ثم تحقق النبوءات التي وردت فيها » ثم قال : « ان أساس كل علم  
 عندهم هو الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة وان الله لم يقصر تعليمنا  
 بانوحي على الهداية الى الدين فقط بل علمنا بالوحي كل ما أراد ان نعلمه من  
 الكون فالكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي قدّر للبشر ان  
 يتلوه . » جميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والارض وما فيها  
 وتاريخ الالام مما يجب تسميته مرها ضارب العقل أو مخالف شاهد الحس  
 فإلى الناس ان يؤمنوا به أولاً ثم يجتهدوا ثانياً في حمل أنفسهم على فهمه أي  
 على تسميته أيضاً كما ترى وقال بعض فضلائهم : انه يمكن ان يؤخذ من الهادئ  
 بأكثره من الكتاب المقدس

الأصل السادس للنصرانية التفريق بين المسيحيين وغيرهم حتى الأقربين ﴿٣٤﴾  
 ينظم تلك الأصول كلها أصل سادس وهو آخرها فيما أرى . ذلك  
 الأصل هو الذي ورد في الإصحاح المباشر من إنجيل متى وهو: « لا تظنوا  
 أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً ٣٥  
 فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماها  
 ٣٦ وأتداء الانسان أهل بيته . » وقد صرح في عدة مواضع من الإنجيل  
 ان الإخلال بشيء من محبة المسيح أو بالانقياد الى جميع ما أوصى به موجب  
 للهلاك وان كان قد جاء في مواضع كثيرة ان الايمان وحده كاف في الخلاص  
 غير ان روح الشدة التي جاءت في قوله « لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً بل الخ »  
 هي التي بقي أثرها في نفوس الاولين من المعتقدين بالدين المسيحي وعفت  
 على آثار ما كان يصح ان تستشعره النفوس من بعض الوصايا الأخر

نتائج هذه الأصول وآثارها ﴿٣٧﴾

من هنا أعرض المسيحيون الأولون عن شواغل الكون وصدوا  
 عن سبيل النظر فيه اظهاراً للفنى بالايمان والمعبادة عن كل شيء سواهما  
 وحجروا على هم النفوس ان تهض الا الى الدعوة الى ذلك الايمان وتلك  
 المعبادة ووسائل الدعوة هي الايمان والمعبادة كذلك فاذا نزلت العقول الى  
 علم شيء من العالم وضعوا امام نظرها كتب المهد القديم وحضروا العلم بين  
 دفتها استغناء بالوحي عن كل عمل للعقل سوى فهمه من عباراته وليس  
 يسوغ لسكنى ذى عقل فهمه بل انما يتلقى فهمه من رؤساء الكنيسة خوفاً  
 من الزيف عن الايمان السليم ( البروتستانت رأوا أنه يجوز تفسير الكتاب  
 لغير الكنيسة )

ثم ان لقاء السيف ووضع التفريق بين الاقارب والاحبة انما جاء حافظاً لذلك كله فاذا خطر على قلب أحد خاطر سوء يرمى الى مبارضة شيء من أمور الايمان المقررة وجب قطع الطريق على ذلك الخاطر ولم يجز في شأن صاحبه هوادة ولا مرحمة كما أفهمه المسيح بعمله على حسب ما ورد في الانجيل فقد قيل له: «٤٧» أمك وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك ٤٨ فأجاب وقال للقائل له من هي أمي ومن هم اخوتي ٤٩ ثم مديده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي . ونحو ذلك مما يدل على وجوب المقاطعة بين من يعتقد بالدين المسيحي ومن يحيد عن شيء من معتقده ولا يخفى ان الشيء يكون بزرة ثم نباتاً ثم شجراً فانظر الى ما صار أمر هذه البدايات بحكم الطبيعة . وقر في نفوس المسيحيين ان السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم وتقرر عند القوم قاعدة «ان الجهالة أم التقوى» ( وكثير من أهل الأديان مسيحيين ومسلمين لا يزالون يجرون على هذه القاعدة ببركة ما ورثوا عن أبناء الزمن الغابر ) فحصروا التعليم في الأديار ومنعت الكنيسة ان ينشر التعليم بين العامة الا ما كان دعوة الى الصلاح وتقرير الايمان على وجه ظاهر . وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسرارها ظهرت ذات الذنب التي تنسب الى هالي في سنة ١٦٨٢ فاضطربت لظهورها اوربا ولجأوا الى البابا واستجاروا به فاجارهم وطردتها من الجوفولت في الفضاء مذعورة من لعنته ولم تعد الا بمدخس وسبعين سنة !!

لم يكن يسمح لأحد أن يبدي رأياً يخالف صريح ما في الكتاب وعندما أظهر بلاج رأيه في أن الموت كان يوجد قبل آدم أي ان الحيوانات كان يدركها الموت قبل ان يخطئ آدم بالأكل من الشجرة قام لذلك

ضوضاه وارتفعت جلبه وانتهى الجدل والجلاد الى صدور أمر امبراطوري  
بقتل كل شخص يمتد بذلك . يقول المؤرخ : وهكذا اعتقاد بأن  
الموت كان يزور الاحياء قبل آدم جريمة على الملك

أحرق كتب البطالسة والمصريين بالاسكندرية على عهد جول قيصر  
ثم ان تيوفيل بطريك الاسكندرية اتحل اذنى الاسباب لاثارة ثورة في  
المدينة لاتلاف ما بقي في مكتبة البطالسة بعضه بالاحراق وبعضه بالتبديد .  
قال اوروسوس المؤرخ انه رأى ادراج المكتبة خالية من الكتب بعد  
ان نال تيوفيل الأمر الامبراطوري باتلافها بنحو عشرين سنة

ثم جاء بعد تيوفيل ابن اخته سيريل وكان خطيباً مفوها له على الشعب  
سلطان بفصاحته وكان في الاسكندرية بنت تسمى هيباتي الرياضية تشتغل  
بالعلوم والفلسفة وكان يجتمع اليها كثير من أهل النظر في العلوم الرياضية  
وكان لا يخلو مجلسها من البحث في أمور أخر خصوصاً في هذه المسائل  
الثلاث : من أنا والى أين اذهب وماذا يمكنني ان أعلم . فلم يحتمل ذلك  
القديس سيريل مع ان البنت لم تكن مسيحية بل كانت على دين آبائها  
المصريين فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها في الطريق  
وهي سائرة الى دار ندوتها وجردوها من ثيابها وأخذوها الى الكنيسة  
مكشوفة العورة وقتلواها هناك ثم قطع جسمها وجرد اللحم عن العظم وما  
بقي منها ألقى في النار . يقول المؤرخ راوي هذه القصة : ولم يسأل سيريل  
عما صنع بهيباتي ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع عليها وامل ذلك كان  
أول ما تقررت تلك القاعدة : « الغاية تشفع للوسيلة »

ما من عقيدة ظهرت في المسيحية وأريد تقريرها من فريق ونازع فيها

فريق الاوقد سالت لها الدماء فليراجع التاريخ لتشتمل أرض مصر مصبوغة بدماء المسيحيين من فريقين مختلفين عندما أريد تقرير عبادة العذراء وأخذها لله أمأه. كان ذلك في طبيعة الدين : ان من لم يتبع المسيح فهو هالك والهالك لا يستحق الحياة . ألم ترى الاصحاح الخامس من الأعمال الى قصة الرجل الذي باع جميع ما عنده وعندما اجاء الى بطرس أعطاه الثمن وادخل نفسه شيئاً أخفاه عنه فاطاع بطرس على حقيقة الأمر ووبخ الرجل وتصرف فيه بسباب حياته من طريق المسخرة ثم جاءت امرأته وكان لها اطلاع على ما أخفى بها ولم تكلمه فوبخها بطرس وأخبرها بموت زوجها فماتت هي أيضاً . فإذا كان الله يسلب حياة جزاء على اختلاس الرجل شيئاً من مال نفسه يقدمه هدية للرسل فكيف تكون الحياة من حقه اذا خالف خلفاء الله في الارض وتأبذهم فيها يعتقدون

قال البابا أنوسان الثالث عند الكلام في معرض الدين يخالفون الحقيقة الكاثوليكية . لا يجوز أن يترك لأولاد البناتين سرى حيرة وترك الحياة لهم من «وحسان» فلم ينصر الجزاء على الجاهلين والجهل عماد انى اولادهم وعند ترك الحياة لأولادهم يمتنون بها ضرباً من الانسداد عليهم لأنه لا حق لهم ان يعيشوا وقد جحد آباؤهم

مقاومة النصرانية للعلم

لا أجد في التاريخ ذكر الأمل والتسعة بعد ظهور المسيحية في مشهور القوة ليهود السطنتيين وما بعده الا في أثناء المنازعات الدينية التي كان يحصل فيها نارة بسططان الملوك وأخرى بجميع الجماع وثالثة بسفك الدماء فتضمد شعلة العلم وينصر الدين المحض . وإنما الذكر كل الذكر لما كان بين

المسيحية وما جاورها من المال الأخرى من الحروب الدينية لا حمل على  
المقيدة بما كان يمتد المسيحيون وما كان يقع بين ملوك أوروبا من التسافك  
في الدماء باغراء رؤساء الكنيسة وأمر ذلك معروف عند من له إلمام  
بالتاريخ وليس من موضوعنا الكلام فيه

ولكن أرى شبه نزاع بين العلم والدين ظهر في أوروبا بعد ظهور  
الاسلام واستقرار سلطانه في بلاد الأندلس واحتكاك الأوربيين  
بالمسلمين في الحروب الصليبية

رجع الآلاف من الغزاة الصليبيين الى بلادهم وحملوا الى الناس  
أخباراً تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة من ان  
المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة وأجلوا عنها دين  
التوحيد ونشروا منها كل فضيلة وإخلاص وهم وحوش ضارية وحيوانات  
مفترسة فلما قتل الغزاة الى ديارهم قصوا على قومهم ان أعداءهم كانوا أهل  
دين وتوحيد وصرورة وذوي ود ووفاء وفضل مجاملة

ثم كان الخليفة الحكم الثاني جعل من بلاد الأندلس فردوساً كما قال  
الفيلسوف الاميركاني وكان اليهود والنصارى يتلاقون في تلك البلاد تحت  
ظلال الأمن والحرية . قال بطرس المحترم الشهير انه رأى كثيراً من  
العلماء يأتون الى تلك البلاد لتلقي العلوم الفلكية حتى من بلاد انكلترا  
وأولئك الذين يسمون الى طلب العلوم من أي بلاد جاؤا كانوا يجدون  
فيها رحباً وسعة وكان قصر الخليفة يشبه ان يكون مصنفاً للاكتب -  
نسخ وتذهيب وتجليد الخ ما قال

ثم انتشرت صناعة الورق التي اخترعها العرب ثم اكتشفت المطبعة

وسهل على الناس ان ينشروا آراءهم بعد أن تبهت أفكارهم بما جلب اليهم  
 رسل العلم الذين حملوه اليهم عن أهالي اسبانيا ومن حملوه مما جاورها . ثم  
 انساب الى العقول شي مما سماه الاوربيون فلسفة ابن رشد . عند ذلك  
 اهتمت المسيحية بالأمر وأخذت تحارب كل ما يظفر على السنة الناس  
 أو يرد على أسماهم مما يخالف ما في الكتب المقدسة وتقاليد الكنيسة .  
 قال دي رومنيس : ان قوس قزح ليست قوساً حربية بيد الله ينتقم بها  
 من عباده اذا أراد بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء . فجاب  
 الى روما وحبس حتى مات ثم حوكت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت في  
 النار . وقيل في علة الحكم : انه أراد الصلح بين كنيستي روما وانكلترا .  
 وأي ذنب أعظم من هذا الصلح ؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بان  
 قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء

مراقبة المطبوعات ومحكمة التفتيش

انشئت المراقبة على المطبوعات وحتم على كل مؤلف وكل طابع ان  
 يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة  
 وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب  
 أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره . وأوعز الى هذا المراقب أن يدقق  
 النظر حتى لا ينشر ما فيه شيء يومي الى مخالفة العقيدة الكاثوليكية ووضعت  
 غرامات ثقيلة على أرباب المطابع يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة  
 ( كأن الحكومة العثمانية على ما تنشر بعض الجرائد أخذت نسخة من  
 قرار المجمع المقدس لتجري عليه مراقبة المطبوعات ولكن للسياسة لا للدين )  
 انشئت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة عند ما خيف ظهورها

يسمي تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته خصوصاً في جنوب فرنسا وإيطاليا.  
 انشئت هذه المحكمة الغربية بطلب الراهب توركاندا  
 قامت المحكمة بأعمالها حق القيام في مدة ثماني عشرة سنة - من  
 سنة ١٤٨١ الى سنة ١٤٩٩ - حكمت على عشرة آلاف ومئتين وعشرين  
 شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين  
 بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين  
 شخصاً بعقوبات مختلفة فنذت ثم أحرقت كل توراة بالعبرية

ماذا كانت وسائل التحقيق عند هذه المحكمة « المقدسة » ؟ وسيلة  
 واحدة هي ان يجلس المتهم ويجري عليه أنواع المذاب المختلفة بالآلات  
 التعذيب المتنوعة الى أن يعترف بما نسب اليه وعند ذلك يصدر الحكم  
 ويعقبه التنفيذ . قرر مجمع لاتران سنة ١٥٠٢ ان يامن كل من ينظر في  
 فلسفة ابن رشد . وطقق الدومينكان يتخذون من ابن رشد ولعنه ولمن  
 من ينظر في كلامه شيئاً من الصناعة والعبادة لكن ذلك لم يمنع الامراء  
 وطلاب العلوم من كل طبقة من تلمس الوسائل للوصول الى شيء من  
 كتبه وتحلية العقول ببعض أفكاره

اشتدت محكمة التفتيش في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعاة الى  
 كسبه ونيط بها كشف البدعة والحكم فيهاها اشتد خفاؤها - في المدن .  
 في البيوت . في السرايب . في الأنفاق . في الخازن . في المطابخ . في المغارات  
 في الغابات . وفي الحقول . فوفت بما كلفت به مع البهجة والسرور اللاتقين  
 بأصحاب النيرة على الدين عملاً بالقول الجليل « ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً »  
 كان يؤخذ الرهبان في صوامعهم ، والقسوس في كنائسهم ،

والاشراف في قصورهم ، والتجار بين بضائعهم ، والصناع في مصانعهم ،  
والعامة في بيوتهم ومزارعهم ، وحيثما وجدوا ، وانما ثقفوا ، ويوقفون  
أمام المحكمة وتصدر الأحكام عليهم يوم اتهمهم

قرر مجمع لاتران ان يكون من وسائل الاطلاع على أفكار الناس  
الاعتراف الواجب أدائه على المذهب الكاثوليكي أمام القسيس في  
الكنيسة (أي الاعتراف بالذنوب طلباً لغفرانها) تذهب البنت أو الزوجة  
أو الأخت لاجل الاعتراف بين يدي القسيس يوم الأحد فيكون مما  
تسأل عنه عقيدة أبيها أو زوجها أو أخيها وما يبدر من لسانه في بيته  
وما يظهر في أعماله بين أهله. فاذا وجد القسيس متلقي الاعتراف شيئاً من  
الشبهة في طلب العلم غير المقدس على من سأل عنه رفع أمره الى المحكمة  
فينتض شهاب التهمة عليه فاذا سأل عن الشاهد الذي عول عليه في اتهمه  
لايجاب وإنما يقام التعذيب مقام شخص الشاهد وهو من أهله حتى يعترف  
أوقمت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب أهل أوروبا ما خيل  
لكل من يلعب في ذهنه شيء من نور الفكر اذا نظر حوله أو التفت وراءه ان  
رسول الشؤم يتبعه وان السلاسل والأغلال أسبق الى عنقه ويديه ، من  
ورود الفكرة المليمة اليه ، وقال باغلياديس ما كان يقوله جميع الناس لذلك  
العهد : « يقرب من المحال ان يكون الشخص مسيحياً ويموت على فراشه »  
حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها سنة ١٤٨١ الى سنة ١٨٠٨ على  
ثلاثمائة واربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف احرقوا بالنار أحياء

اضطهاد المسيحية للمسلمين واليهود والعلماء طامة

لما كان ابن ر... هو الينبوع الذي تفجر منه ماء العلم والحرية في

اوربا على زعم القسوس وكان ابن رشد استاذاً يتعلم عنده كثير من اليهود وقد اتهموا بنشر افكاره وآرائه ثم هو مع ذلك مسلم صب غضب الكنيسة على اليهود والمسلمين معاً فصدر الأمر في ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢ بأن كل يهودي لم يقبل المهودية في أي سن كان وعلى أي حال كان يجب ان يترك بلاد اسبانيا قبل شهر يوايو (تموز) ومن رجع منهم الى هذه البلاد عوقب بالقتل وأبيع لهم ان يبيعوا ما يملكون من عقار ومنقول بشرط ان لا يأخذوا في الثمن ذهباً ولا فضة وإنما يأخذون الأثمان عروضاً وحوالات . ومن ذا الذي يشتري اليوم ثمن ما يأخذه بعد ثلاثة أشهر بلا ثمن ؟ ( يعني ان أموال اليهود تكون مباحة بعد جلائهم الذي يتم في يوليو ) . و صدر أمر توركاندو ان لا يساعدهم أحد من سكان اسبانيا في أمر من امورهم . وهكذا خرج اليهود تاركين كل ما يملكون ناجين بارواحهم على انه لانجاة لكثير منها فقد اغتالها الجوع ومشقة السفر مع المدمم والفقير وفي فبراير ( شباط ) سنة ١٥٠٢ نشر الأمر بطرد أعداء الله المغاربة ( المسلمين ) من أشيلية وما حولها - من لم يقبل المهودية منهم يترك بلاد اسبانيا قبل شهر ابريل ( نيسان ) وأبيع لهم أن يبيعوا ما يملكون على الشرط الذي وضع لليهود . ولكن وضع للمسلمين شرط آخر وهو أن لا يذهبوا في طريق يودي الى بلاد إسلامية ومن خالف فجزاؤه القتل . فمؤلاء المساكين نفوا جميعاً الى القتل ان لم يكن قتل الجزاء عند الرجوع فالموت ملاقيهم بالتمب مع المرى والجوع الا يجب القارى اذا رأى ان برونو يحرق بالنار حياً بعد حبس طويل سنة ١٦٠٠ لأنه قال بقول الصوفية في وحدة الوجود وقال ان

هذا العالم يحتوي على عوالم كثيرة . الحمد لله رب العالمين  
 ظهر القول بكروية الأرض - ذلك الأمر الذي عرفه المسلمون  
 وصار رأياً لهم في أول خلافة بني العباس ولم تتحرك له شعرة في بدن -  
 فأحدث اضطراباً شديداً في عالم النصرانية ولا يسع هذا المقال ما وقع  
 من الحوادث في شأنه

هل يصدق القارىء ان مقصده كريستوف كولب من السفر في  
 المحيط الاطلانطي لعله يكتشف ارضاً جديدة كانت من الأمور التي  
 اهتمت لها الكنيسة وحكم مجمع سلامك بأنه مخالف لأصول الدين ثم  
 أعيد النظر فيه وعرض على أقوال الآباء من كريزيستوم واوغستين  
 وجيروم وغريغوار وبازيل وانبرواز وعلى رسائل الرسل والأنجيل  
 والنبوات والزبور والاسفار الخمسة ولم ينتج هذا العرض شيئاً . ولكن  
 ساعده على مقصد بعض الملوك رغم الكنيسة كما هو معلوم . قال  
 كريستوف كولب ان الذي أوحى اليه هذا القصد النبيل هي كتب  
 ابن رشد . من هنا نفهم لم قامت له الكنيسة وقعدت .

ما أشد تمسك الكنيسة بهذا الأصل الجليل « السلطة للقسوس  
 والطاعة على العامة » كل رأي لم يصدر عن ذلك المصدر الديني الذي يربط  
 ويحل في الأرض والسماء فهو باطل يجب مقاومته بكل ما يستتبع . لهذا  
 حكم على غاليلي الذي ذهب الى ان حركة الكواكب هي على النظام  
 المعروف عند الفلكيين اليوم

مقاومة الكنيسة للحقن تحت الجلد : هل تدري ماذا حصل من المقاومة

لادخال الحقن تحت الجلد بمادة المرض ؟ اكتشفت هذه الطريقة

الطبية عند المسلمين في الاستانة ثم نقلها الى اوروبا امرأة تسمى ماري مونتاجو سنة ١٧٢١ فقامت قيامة القسوس وعارضوا في استعمالها واحتج في تمزيدها الى التماس المساعدة من ملك انكلترا وعادت هذه الشدة في المعارضة عندما اكتشفت طريقة تطعيم الجدري

مقاومة تسهيل الولادة: أي مقاومة لم يلاقها اكتشاف مخدير المرأة عند الولادة حتى لا تحس بألم الطلق. اكتشاف أميركاني رأته حضرات القسوس فيه انه يخلص المرأة من تلك اللعنة أو تلك العقوبة التي سجلت عليها في سفر التكوين ( إذ جاء في الاصحاح الثالث منه: « وقال للمرأة تكثيراً اكثر اتعاب حملك بالوجع تلدين اولاداً » )

مقاومة السطة المدنية وحرية الاعتقاد: نشر البابا منشور في سنة ١٨٦٤

جاء فيه لمن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسطة مدنية أو جواز ان يفسر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة أو يمتقد بان الشخص حر فيما يفتقد ويدين به ربه . وفي منشور له سنة ١٨٦٨ ان المؤمنين يجب عليهم أن يفدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وافكارهم ودعا الروم الارثوذكس والبروتستانت الى الخضوع للكنيسة الرومانية على هذا الوجه

في سنة ١٨٧١ كان النزاع بين حكومة بروسيا والبابا في عزل استاذ في إحدى الكليات رأى رأياً لا يروق للحزب الكاثوليكي فخرمه البابا وطلب من الحكومة عزله وكانت إحدى المضلات السياسية غير ان عزيمته بسمارك نصرت مدينة القرن التاسع عشر على سلطان الكنيسة وأبقت الاستاذ وجمعت التعليم تحت السطة المدنية

مقاومة الجمعيات العلمية والكتب : لا أذكر الجمعيات العلمية (الأكاديميات) التي النيت والاجتماعات التي عطلت لالشيء كان فيها سوى هداية البشر الى منافعهم وتنوير بصائرهم بكشف ما احتجب عنهم من سر الخليقة بالبحث النظري ومن الطريق العقلي من غير استشارة المسيطر الالهي وهو الكنيسة . ولكن أذكر شيئاً واحداً وهو ان الكردينال اكسيمينس أحرق في غرناطة ثمانية آلاف كتاب بخط القلم فيها كثير من ترجمة الكتب المعول عليها عند علماء أوروبا لذلك العهد

### البروتستانت او الاصلاح

ربما يقول قائل ان هذا الذي ذكرت هو عمل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية واماكن قد قام في المسيحية مصلحون يرون إرجاع الدين الى أصل الكتب المقدسة ويبيحون لعامة أهل الدين ان ينظروا فيها ويفهموها وقد رفعوا تلك السيطرة عن الضمائر والعقول ومن عهد ظهور الاصلاح والرجوع الى أصول الدين الأولى بزغت شمس العلم بالمغرب وبسط للعلم بساط التسامح وذلك لا يمكن أن يكون الا جرياً مع طبيعة الدين لا أذكر في الجواب عن ذلك الا ما ذكر البروتستانت أنفسهم في تاريخ الاصلاح : استمرت عقوبة الموت قانوناً يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفة وقد أمر كلفان<sup>(١)</sup> باحراق سيرفيت في جنيف لأنه كان يعتقد ان الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء من الابتداع قبل مجمع نيقة . وكان يقول : ان روح القدس ينمش الطبيعة بأسرها . فكان جزاؤه على هذا ان شوي على النار حتى مات وهكذا أحرق فايي في تلوز سنة ١٦٢٩

(١) كلفان هو الزعيم الثاني للبروتستانت ولوتر الأول

كان لوتير أشد الناس أنكاراً على من ينظر في فلسفه ارسطو وكان ذلك المصلح يلقب هذا الفيلسوف بالخبزير الدنس الكذاب ونحو ذلك من الألقاب التي لا بأس بها اذا صدرت من أهل الفيرة على الدين في طريق الدفاع عنه !! وكان كلفان أقل شأماً للفيلسوف من لوتير لكنه لم يكن أحسن ظناً به ولا أوسع صدرًا لمن يطلع على شيء من كتبه. وكان علماء المسلمين يقبون هذا الفيلسوف «المعلم الاول» فتأمل الفرق بين الفريقين !!

قالوا: البروتستانت قاموا يطالبون بالحرية في فهم الكتب المقدسة وبإبطال السلطة على غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب والسعادة الاخروية وإبطال عبادة الصور. ولكنهم لم يغيروا شيئاً من الاعتقاد بان الكتب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشري كما انها منبع نور الإيمان بالدين الالهي وأنه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره الى ما يخالف شيئاً مما حوته وأنه لا حاجة الى شيء من العلم وراء ما ورد فيها. وبالجملة انهم لم يبطلوا أصلاً من الأصول الستة التي تقدمت إلا أنهم قالوا يمنع غلو الرؤساء في سلطتهم المبنية على الاصل الثاني في سابق قوائمنا

قالوا: ولهذا لم يكن مذهب الاصلاح اخف وطأة على العلم ولا أفضل معاملة له من الكاثوليك لان كلا المذهبين يرجع الى طبيعة واحدة (وهي القائمة على الاصول الستة) ولم يكن لاهل النظر العقلي جزاء في كلا المثلين الا القتل وسفك الدم

لو كنت ممن يجب الجدل في الدين لمددت فيما ذكرته من عناصر الدين المسيحي ما تضمنه قول بعض الناقدين عند الكلام على الحروب المسيحية واضطهادات الكنيسة « ما أهون الدم على من يمثل في عبادته اكل

الدم وعلى من يعتقد ان خلاص العالم الانساني من الخطيئة انما كان بسفك  
الدم البري على يد الممتدي الاثيم» لكنني في بحثي هذا لا أريد ان استعمل  
قوة الخيال، ولا أن أذكر ما يمد من قبيل الجدال، وانما آتي بما هو حكاية  
حال، ليس للناظر فيها مقال،

### الفصل بين السلطين في المسيحية

بقي علينا الكلام فيما جعلته الجامعة أساساً للفصل بين السلطين  
الدينية والملكية وبه كانت طبيعة الدين المسيحي ادعى الى التسامح مع العلم  
في نظرها. لو سلمنا أن في تلك العبارة معنى انفصل كما قالت الجامعة وقال  
كثير غيرها ممن أرادوا مقاومة السلطة الدينية فماذا يفيد الفصل اذا كان  
دين الملك نفسه يقضي عليه بمعادة العلم؟ أفلا يغلب اعتقاد الملك وما يملك  
نفسه مما فيه نجاته الروحية على مطالب الملك؟ وكم من ملك جعل مصالح  
مملكته قربانا لسلطان عقيدته. هب ان مصالح الملك تكون دائماً أغلب  
على النفس من حكم العقيدة وقاهر الايمان والوجدان وقد أقام الدين  
سلطين منفصلتين احدهما تحمل وتربط في الأرض وفي السماء فيما هو من  
خاصة الدين والأخرى تحمل وتربط في الأرض فيما هو من خصائص  
الدنيا. أفلا يكون هذا الفصل قاضياً بتنازع السلطين وطلب كل واحدة  
منهما التغلب على الأخرى فيمن تحت رعايتهما معاً؟ وهل يسهل على السلطة  
الدينية أن تدع رعاياها تتصرف في أبدانهم وأموالهم بل وفي عقولهم أيدي  
الملوك بما تقتضيه مصالح الملك الثاني اذا كان ذلك التصرف مخالفاً لما جاء  
في كثر المعارف وهو الكتب السماوية وتأويل الرؤساء الروحانيين وسننهم  
فاذا هت هذه السلطة بالمعارضة أفقصر الأخرى؟ هذا هو الذي وقع

في العالم المسيحي منذ ظهرت سلطة الدين  
كيف يتسنى للسلطة المدنية أن تتغلب على السلطة الدينية وتقف بها  
عند حدها والسلطة الدينية إنما تستمد حكمها من الله ثم تمد نفوذها بتلك  
القوة إلى أعماق قلوب الناس وتديرها كيف تشاء. والملك لا قوة له إلا بأولئك  
الناس المغلوبين للسلطة الدينية؛ لا يتأتى للملك أن يغالب تلك القوة إلا بعد  
أن يتناول من الوسائل ما لا يد لإضعاف سلطتها. نعم هذا الفصل يسهل  
التسامح لو كانت الأبدان التي يحكمها الملك يمكنها أن تأتي أعمالها على حدة  
مستقلة عن الأرواح التي تحيا بها والأرواح كذلك تأتي أعمالها بدون  
الأبدان التي تحمل قواها

ثم هل هذا هو معنى قول الأنجيل؛ القصة على ما جاء في الأنجيل  
أن بعض المرائين أراد أن يتسقط المسيح ليأخذ عليه ما يحم به فسأله:  
أيجوز أن نعطي جزية لقيصر؛ فأجاب لم تجربوني اثتوني بدينار لا أنظر  
إليه. فأتوه بدينار فقال: لمن هذه الصورة والكتابة؛ قالوا له لقيصر  
فقال: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فبينما الظاهر من سياق القصة  
أن صاحب السكة التي تعاملون بها إذا ضرب عليكم أن تدفعوا منها شيئاً  
فادفعوه له أما قلوبكم وعقولكم وجميع ما هو من الله وعليه طابع صنفته  
فلا تعطوا منه لقيصر شيئاً. والعلم ليس مما عليه طابع قيصر بل عليه طابع  
الله فلا يمكن أن يكون العلم تحت سلطة غير السلطة الروحية الدينية.

فأي تسامح مع العلم في هذا

- اعتقاد المسلمين في المسيح والمسيحية -

هذا الذي عرضناه من طبيعة الدين المسيحي وأوردناه من مشاربه

فيما بعد نشأته وما وقع من حوادث أهله مع طلاب العلم ورواد المعارف في كل زمن الى ما يقرب من أيامنا هذه كل ذلك مأخوذ من تاريخهم الذي كتبوه عن أنفسهم ومن نصوص كتبهم الدينيه التي يتوكلون عليها فيما ذكرنا من سيرتهم وأعمالهم

أما رأيي ورأي أهل العقيدة الصحيحة من المسلمين في المسيح عليه السلام ودينه فهو على غير مارآه القارىء . انا نعتقد ان المسيح روح الله و كلمته ورسوله الى بني اسرائيل بعث مصداقاً لما بين يديه من التوراة وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم وارشاد في شؤون معاشهم ومعادهم ولم يطالبهم بتعطيل قوّة من قواهم التي وهبهم الله تعالى إياها بل طالبهم بشكر الله تعالى عليها ولا يشكر حق الشكر الا باستعمالها جميعها فيما أعدّها الله له . والعقل من أجلّ القوى بل هو قوّة القوى الانسانية وعمادها والكون جميعه هو صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذي يتلوه وكل ما يقرأ فيه فهو هداية الى الله وسبيل لاوصول اليه . وكل ما صح عندنا عن السيد المسيح لا يخالف شيً منه هذا الذي نعتقد . فان صح عنه شيء يكون في ظاهره مخالفة لهذه الأصول أمكننا تأويله حتى يرجع معناه اليها أو وكلنا الامر فيه الى الله وقلنا « لا علم لنا الا ما علمتنا » .

الدين دين الله وهو دين واحد في الاولين والآخريين لا تختلف الا صورته ومظاهره . وأما روحه وحقيقته ما طول به العالمون أجمعون على السن الانبياء والمرسلين فهو لا يتغير — إيمان بالله وحده وإخلاص له في العبادة ومعاونة الناس بعضهم لبعض في الخير وكف أذاهم بعضهم عن بعض ما قدروا . وهذا لا ينافي الارتقاء في الدين بارتقاء عقول البشر

واستمدادهم لكمال الهداية . ونعتقد ان دين الاسلام جاء ليجمع البشر  
كلهم على هذه الأصول ومن أهم وظائفه ازالة الخلاف الواقع بين أهل  
الكتاب ودعوتهم الى الاتفاق والاخاء والمودة والائتلاف وهذا ما عمل عليه  
المسلمون قرناً بعد قرن بحسب قوة تمسكهم بالاسلام

فاذا سأل سائلٌ إذا كان ذلك الذي قدمت فيما سبق هو اعتراف  
فضلاء الأوربيين أنفسهم في منافاة طبيعة الدين للملم واشتداده في موادته  
فما هذا الانقلاب الذي حصل في أوروبا وما هذا التسامح الذي يتمتع به الملم  
اليوم في أقطارها؟ فجوابه في الكلام على الامر الرابع مما ذكرت الجامعة  
وهو يكون بمد عرض طبيعة الدين الاسلامي وما يليق أن يكون له مع العلم  
وما انجر اليه الحال بمقتضى تلك الطبيعة وما عرض عليها مما سترها وحال بينها  
وبين أثرها في أخريات الأيام؛ وسنوجز القول فيه كما أوجزناه فيما مضى

### باب الاسئلة والاجوبة

(١س) غممة التصوفة من الشيخ عبد الله عبد الرحمن بالقنات : قال بمد كلام  
يعرض فيه بعلماء التقليد وعدم الثقة بهم ويثني فيه على المنار ما نصه  
« ما يرى سيدي فيمن نطق بالشهادتين أو بطلاق امرأته أو بأي عقد يحتاج  
في اعتباره الى صراحة اللفظ نطق به كما تصنع هذه الفرقة (التصوفة) في ذكرهم  
وأريد غممتهم . اهو إسلام صحيح ، أو طلاق صريح ، أو عقد ممتبر شرعا؟  
فان قائم بصحته كلية فما هذا الذي ينكره الناس على هذه العائفة؟ وان رأيت  
غيره فأني نبي هو؟ أفؤ من الكلام ، لا يثبت به إسلام ، ولا يعطي ما يعطيه اللفظ  
الصريح من المعاني »

(ج) انغممة هي النطق لا بيان فيه وأصلها أصوات الثيران عند الذعر وتقع  
من الناس اضطراراً يقال : غمخ الأبطال عند الكفاح في الحرب . وهذا هو الذي